

الحروف العربية بين الائتلاف والتنافر في اكتساب مهارات اللغة العربية

د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

أستاذ مشارك في مركز اللغات بالجامعة الأردنية

مُلخَص:

في العِدِّ الثاني من الألفية الميلادية الثالثة يرسم المدّ والجزر أشكالاً في أساليب تعلّم اللغة العربية وتعليمها. ونظراً للمكانة الخاصة لمهارتي القراءة والكتابة في اكتساب العربية لغة وثقافة، وفي استيعاب مضمون الحضارة العربية الإسلامية قديماً وحديثاً، تُبدل الطاقات في البحث عن أنجع السبل لتعلّمها، وفي الوصول إلى أفضل المسارات للبدء بتعليمها. فالحروف الأبجدية العربية بأصواتها ورُموها الكتابية تمثل مُفتاح الولوج لعالمٍ واسعٍ ينطلق فيه المتعلّم باستيعاب الكلمة.

يعرف أهل العربية والمشتغلون فيها أن الحروف العربية مُنتظمة في مجموعات يلُمُّها الائتلاف في الشكل أو المخرج أو الصّفة؛ فالحروف العربية من حيث الشكل يُمكن جعلها في مجموعاتٍ تتقاطع إلى حدٍّ بعيد مع التّرتيب الألفبائي فهي (ب، ت، ث، ن، ي) (في أوّل الكلمة ووسطها)، و (ج، ح، خ) و (د، ذ) و (ر، ز) و (س، ش) و (ص، ض) و (ط، ظ) و (ع، غ) و (ف، ق). والمجموعات السابقة مؤتلفة من جوانب ومختلفة من جانب آخر. ففي حين تبدو مُتقاربة مُتشابهة تُفرّق (النقطة والنقطتان والثلاثة) بينها بوضوح لِن رام التّدقيق، تتقاطع بعض الحروف مع غيرها من حيث النطق والمخرج إلى

حدّ بعيد. مما يجعل التمييز بينها أمراً مُلحاً لتعلّمها من أبنائها وغيرهم على حدّ سواء، ويتجلّى ذلك بالنظر إلى تلاقي المجموعات الآتية وتقاربها (أ، ع) و (س، ص) و (ح، هـ) و (ق، ك) و (ت، ط) و (د، ض) وغيرها.

إنّ الأمثلة السابقة وغيرها ممّا سيعرض لها هذا البحث ويدرّسها باستفاضة، تبدو اليوم مطلباً مهمّاً، ذلك أنّ الصّورة اللغويّة المقيدة بالكتابة هي المطلب الأصب الذي يكشف بجلاء مؤثّق مدى إتقان الطّلبة للمهارات اللغويّة، وللغة بتجليات مُستوياتها الصّوتيّة والصّرفيّة والنحويّة والمُعجميّة الدّلالية. ذلك أنّ أيّ قُصور في الاستيعاب أو خلط على مُستوى الإدراك، ومن ثمّ التّحليل في طريق إعادة الإنتاج سيتمثّل واضحاً في الصّورة المكتوبة لتعبير الطّالب. بل إنّ كثيراً من المشكلات في القراءة والاستماع لا تظهر إلا إذا طُلب إلى الطّلبة أن يعيدوا إنتاج اللغة كتابةً.

فالمواجهة بين المتعلّم واللغة تكون من خلال الكتابة بتلقّي الرّموز الكتابيّة أو صُور الحُرُوف المرتبطة بأصواتها التي تُمكنه من الرّبط التلقائي بين الصّورة والصّوت أو النطق والرّسم أو الرّمز الكتابي. وهو ما سيؤهله فيما بعد لاستيعاب الرّموز الكتابيّة للحُرُوف كلّها ثمّ من بعدها صُور الكلمات المكوّنة من تضام تلك الحُرُوف معاً لتُشكّل كلمات. كما أنّ آخر تحدّي يواجه الطّلبة هو إنتاج اللغة بصورتيه الشّفويّة-والمكتوبة.

وهذا البحث يُقدّم نُطق الصّوت مُفرداً مُستقلاً، ومُركّباً مع غيره في كلمة، ويُبيّن تغيّر نُطق الصّوت الواحد بتغيّر مجاوراته في الكلمة والجُملة. ويُناقش ذلك من خلال أمثلة عمليّة وتطبيقية من مُمارسات الطّلبة وأدائهم اللغويّة مُعتمداً على أثر علم اللغة التّقابلي في تعليم أصوات العربيّة للناطقين بغيرها.

ويأتي هذا البحث ليبحث في تعليم الكتابة والقراءة، وي طرح المشكلات، ويُناقش الحُلُول في ضوء دراسة تطبيقية على مجموعة من طلبة العربيّة للناطقين بغيرها في مركز اللغات في الجامعة الأردنيّة.

فرضية البحث:

الحرف وجه اللغة وأساس تعلمها، ومتعلم اللغة العربية لغة ثانية يفاجأ بحروف هذه اللغة من نواح عديدة؛ ما بين أصوات بعضها المتقاربة، وأشكال كتابتها في بداية الكلمة أو وسطها أو نهايتها، وتباين صوت الحرف الواحد حسب موقعه في الكلمة، ووفق الحركة المرافقة له، وبحسب إعرابه ضمن الكلمة في الجملة. فتمييز الحروف العربية بين ائلافها وتنافرها هدف رئيسي لمتعلم العربية لغة وثقافة لاكتساب مهارات الاستيعاب في الاستماع، والفصاحة في التحدث، والبيان في الكتابة، والوضوح في القراءة.

أهمية البحث:

إن إتقان لغة ما يتطلب استخدام كلماتها في سياقها المركب في جمل، كما أن استخدام الكلمات بشكل وظيفي للتواصل الهادف يتطلب إدراك مدلولاتها ومعانيها، وفهم معاني الكلمات بدقة يجب تمييز أصواتها. وتمييز الأصوات يتوقف على وضوح صورة حروفها ذهنياً ورسمياً. وعليه فإن الحرف هو الوجه الأساسي للغة، ومن أراد تعلم لغة بفكرها وثقافتها عليه التمكن من منظومة حروفها بين ائلافها وتنافرها فيكتسب بالتالي مهارات قراءتها واستيعابها، ومن ثم التحدث بها وكتابتها.

أهداف البحث:

- 1- تفسير ظاهرة ائتلاف الحروف العربية وتنافرها، وتوصيفها بوصفها مشكلة لغوية تعليمية.
- 2- التركيز على مكانة الحرف في توصيل المعنى الدلالي لفهم اللغة والتفاهم مع أبنائها.
- 3- تيسير تعليم الحروف العربية لمتعلميها من الناطقين بلغات أخرى من خلال الكلمة والسياق.
- 4- توظيف علم اللغة التقابلي لتمكين المتعلم من إتقان منظومة الحروف العربية.
- 5- توجيه معلم العربية نحو معالجة الحروف وتقديمها.

أسئلة البحث:

- ١- ما دور الحرف في تعلّم مهارات اللغة؟
- ٢- كيف يكون الائتلاف بين الحروف؟
- ٣- ما تفسير التنافر بين الحروف؟
- ٤- بماذا يُفسّر علم اللغة التّقابلي ظاهرة ائتلاف الحروف وتنافرها؟
- ٥- ما أهمية الحركات في إبراز الحروف؟
- ٦- كيف يُتقن مُتعلّم العربيّة التّمييز بين الحروف المتشابهة؟
- ٧- كيف يصل مُتعلّم العربيّة لدرجة البيان في المحادثة والكتابة؟
- ٨- كيف يتجنّب المتعلّم تحريف الكلم عن مواضعه؟
- ٩- أي منهجية مناسبة لتقديم الحروف العربيّة؟

الدراسات السابقة:

كان لعلماء الحضارة العربيّة الإسلاميّة تأثير كبير على توضيح أهمية دراسة الحروف في اللغة العربيّة دراسة فلسفيّة فكريّة دلاليّة، فألّفوا كتباً عن الحروف^(١). وقد أفدت من العمق في شرح مكانة الحرف، والمدلول اللغوي لكلمة حرف، واتخذتها مرجعيّة فكريّة منطقيّة في التطبيق العملي لتعليم اللغة العربيّة.

* قدّم مجموعة من المتخصّصين المعاصرين في اللغويّات واللسانيّات آراءهم في ظواهر اللغة العربيّة الصّوتيّة، وأجروا دراساتٍ نظريّةً وميدانيّةً في تعليم الأصوات للناطقين بغير العربيّة. وتبرز فائدتها من تعدّد زواياها ومحاورها، وتنوّع العيّنات بين طلاب العربيّة من الناطقين بلغاتٍ مختلفة، وتطبيق نظريات علم التّقابل اللغوي عليها. ولعلّ من أبرز تلك الدراسات:

* كتاب «خصائص الحروف العربيّة ومعانيها» لحسن فضل (نُشر سنة ١٩٩٨) مُنطلقاً من النظريّة اللغويّة الفطريّة، وفكرة أن معنى الحرف العربي هو صدى صوته في الوجدان والنفس، وأخذاً بمقولة ابن جنّي: (سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود

والغرض المراد (ص ٦). وصنّف الحروف تبعاً للخصائص الحسيّة أو الشعورية الغالبة فيها، أو وفقاً لطبيعتها الصوتيّة الخاصّة، أو حسب طريقة النطق بها. ص (٥٠).

* وبحثٌ حول «أخطاء دارسي اللغة العربيّة في النطق» للأستاذ ف عبد الرحيم من خلال دراسة تقابليّة في مجال الأصوات (نُشر سنة ١٤٠١ هـ)، ركّز فيه على تأثر دارس اللغة العربيّة بلغته الأصليّة في مجال الأصوات، واستعرض أمثلة لأخطاء الناطقين بأكثر من عشر لغات، وأوصى بأهميّة معرفة المشكلات الصوتيّة لوضع حلول تُساعد الطلاب على مواجهة صعوبات تعلّم الأصوات العربيّة.

منهجية البحث:

ينطلق البحث من مكانة الحرف في فهم الكلمة، فهو وإن كان حرفاً مفرداً يمثّل جانباً جزئياً من الكلمة، إلا أنّه يؤثّر في معنى المفردة تأثيراً عميقاً. فيعرض البحث لتفاعل المتعلّم مع الحرف في فهم المعنى واستيعاب مدلول الكلمة، وأهميّة إتقان نطقه الصوتي بشكل واضح وسليم في مهارات الاستماع والمحادثّة، ووضوح خطّه كتابةً وقراءةً. ويحتكّم البحث إلى استبيانٍ يستطلع آراء الطلبة في ارتباط الحروف ببعضها البعض، وأشكال كتاباتها في الكلمة مع الضبط ودونه. كما يعتمد إلى رصد تجربة الباحثة في تعليم العربيّة لغة وثقافة للناطقين باللغات الأخرى من مستويات متنوعة بين المبتدئين والمتقدمين^(٢).

مجتمع البحث وعيّته:

يتكوّن مجتَمع البحث من مجموعةٍ من طلبة المستوى المتقدّم الذين درسوا اللغة العربيّة في مركز اللغات في الجامعة الأردنيّة في عمّان في الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ٢٠١٦ / ٢٠١٧. وقد بلغ عدد أفراد العيّنة خمسة وعشرين طالباً وطالبة من عشر جنسيات مختلفة؛ من اليابان، والصين، وتايوان، وأندونيسيا، وقيرغيزستان، وتركيا، وبولندا، وإيطاليا، وفرنسا، وألمانيا، وإسبانيا. وقد درسوا جميعاً اللغة العربيّة لسنوات تتراوح بين سنتين وأكثر. وتم اختيار طلاب المستوى المتقدّم لتتبع تطوّرهم في تمييز ائتلاف الحروف العربيّة وتناظرها من خلال ممارستها للمهارات اللغويّة مع معلّماتهم في برنامج يومي مكثّف. وتقوم الباحثة بمقارنات إنتاج الطلبة المتقدّمين مع

إنتاج طلبية في المستوى المبتدئ والمستوى المتوسط توضح تمثلهم للحروف العربية صوتاً وشكلاً ودلالةً.

الاستبانة: تتألف الاستبانة من تسعة أسئلة عن استيعاب الحروف وتمييزها من خلال مهارات الكتابة والاستماع والقراءة، وثلاثة أسئلة للتعبير الشفوي والكتابي، وسؤال لاستخدام مفردات مؤلفة الحروف مختلفة المعاني، وتمارين على الإملاء مع ضبط الحروف بالشكل المناسب لتمييز أصواتها بالحركة الملائمة.

والهدف منها استيضاح مدى إدراك الطلبة لمكانة الحرف في معنى الكلمة، والاستفادة من آرائهم في أهمية ملازمة الحركة للحرف كتابة ونطقاً، وقياس استيعابهم لصوت الحرف وتأثيره في المعنى كتابياً.

دور الحرف في تعلم مهارات اللغة:

يُمثل الحرف تجسيداً للغة التي نتعلمها، فهو بحد ذاته اللغة، وهو الوجه المباشر للغة^(٣)، وهو حدّها الأساسي وما يبرز منها^(٤)، وهو طرفها وجانبها الذي منه تتكوّن^(٥)، وهو الأداة التي تربط اسماً بآخر وبفعل لتوضيح المعنى^(٦)، وهو وسيلة اكتساب معنوي^(٧) ومهارة في الصنعة والعلم تعود بالفائدة المادية على صاحبها^(٨). وفعله المشدّد وسطه يعني تغيير الكلم عن مقصوده ومدلوله، كما جاء في القرآن الكريم^(٩).

إن للحرف دلالة توافق عليها أبناء اللغة كما قال الفارابي في كتابه «الحروف»^(١٠): «فهكذا تحدّث أولاً حروف تلك الأمة وألفاظها الكائنة عن تلك الحروف. ويكون ذلك أولاً ممّن اتفق منهم، فيتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويماً أو لفظة في الدلالة على شيء ما عندما يُخاطب غيره، فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يُخاطب المنشئ الأوّل لتلك اللفظة، ويكون السامع الأوّل قد احتذى بذلك فيقع به، فيكونان قد اصطلحا وتواطئا على تلك اللفظة، فيُخاطبان بها غيرهما إلى أن تشيع عند جماعة. ثم كلّموا حدث في ضمير إنسان منهم شيء احتاج أن يفهمه غيره ممّن يُجاوره، اخترع تصويماً فدلّ صاحبه عليه وسمعه منه فيحفظ كل واحد منها ذلك وجعله تصويماً دالاً على ذلك الشيء..... وكما أن في المعاني معاني تبقى واحدة بعينها تبدّل عليها أعراض تتعاقب عليها، كذلك تُجعل في الألفاظ حروف راتبة وحروف كأبها

أعراض متبدّلة على لفظٍ واحد بعينه، كل حرف يتبدّل لعرض يتبدّل، فإذا كان المعنى الواحد يثبت وتتبدّل عليه أعراض متعاقبة، جُعِلت العبارة بلفظ واحد يثبت ويتبدّل عليها حرف حرف، وكل حرف منها دال على تغيير»^(١١).

وكان للعلامة اللغوي أبي الأسود الدؤلي في القرن الأوّل الهجري دوره في وضع علاماتٍ دالّةٍ على حركة الألفاظ، ساعدت أبناء اللغة العربيّة على توضيح مخارج الحروف ولاسيّما عند قراءة القرآن الكريم، فتوافقوا عليها. ثم أكمل العالم اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي المَهْمَمَة في القرن الثاني الهجري بوضع النقاط فوق الحروف مع رموز أصوات الفتحة والضمة والكسرة، وتوافق عليها أبناء اللغة إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري.

ويُثبتُ عدد المراجع الكبير المتوفّر في موضوع الكتابة العربيّة وتيسيرها ومُعَالَجَة مُشكلاتها بين أبنائها ومُتعلّميها أن قضيّة الحروف واتّلافها وتنافرها ودلالاتها مُتداولة على مدار العُصور التاريخيّة المتتالية، فشغلتُ علماء اللغة العربيّة واللسانيات، وفلاسفة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، والمستشرقين، ومُدربي اللغة العربيّة في مراحل التعليم الأساسيّة المختلفة، وأساتذة الجامعات، ومجامع اللغة العربيّة^(١٢)، ومُثقفي المجتمعات العربيّة على اختلاف تخصصاتهم العلميّة والعملية. وقد تعدّدت الدراسات الحديثة حول الحروف العربيّة وتطوير أشكالها حسب أصواتها ومخارجها ما بين مؤيد للفكرة ومعارض لها. وشهد القرن العشرين كثافة في تلك الدراسات مع تداعيات الاستعمار على الوطن العربي، ودعوته الحثيثة لاستبدال الحروف اللاتينية بالعربية، وتغيير هيكله التعليم في المؤسسات، وانتشار استخدام العاميّات واللهجات بين المتعلّمين من أبناء اللغة العربيّة على حساب العربيّة الفصيحة.

مفهوم الحروف:

يُوضّح العالم الرازي^(١٣) في شرحه لمعنى الحروف ومدلولها^(١٤) أن «الحروف ثلاثة أنواع: فكريّة، ولفظيّة، وخطيّة. فالحروف الفكريّة هي: صور روحانية، في أفكار النفوس، مُصوّرة في جَوهرها قبل إخراجها، معانيها الألفاظ. والحروف اللفظيّة هي: أصوات محمولة في الهواء، مُدرّكة بطريق الأذنين، بالقوّة السامعة. والحروف الخطيّة

هي: نُقُوشٌ خُطَّتْ بالأقلام في وجوه الألواح، وُطُون الطَّوامير، مُدْرَكَةٌ بالقوَّة الناظرة، بطريق العينين. والحروف الخطيَّة، وُضِعَتْ لِيُدلَّ بها على الحروف اللفظيَّة. والحروف اللفظيَّة وُضِعَتْ لِيُدلَّ بها على الحروف الفكريَّة، التي هي الأصل. والحروف اللفظيَّة، إنَّما هي أصوات تحدث في الحلقوم والحنكين، وفي اللسان والشفيتين، عند خروج النَّفس من الرئَة، بعد ترويحها الحرارة الغريزية التي في القلب. وهي ثمانية وعشرون في العربيَّة، وتزيد وتنقص في سائر اللغات».

وتنوع أهمية أصوات الكلام من أنها تمثِّل الجانب العملي للغة. فلا يرتبط معنى الجملة بأصواتها وحروفها فقط، وإنما كذلك بطريقة إلقاءها وتنغيمها. وتنوع الإيقاع ضروري للدلالة على الأوجه الكلاميَّة المختلفة من إثبات أو نفي أو استفهام أو تعجُّب^(١٥).

منهجية تعلُّم الحروف:

توصِّل مؤلِّفو منهج تقديم العربيَّة للمبتدئين في مركز اللغات بالجامعة الأردنيَّة إلى البدء بالحروف السلسلة التي يتَّضح لها مقابل صوتي في لغات عديدة،^(١٦) مثل: (س، م، ب، ل، د، ت، ج، ك، ن، ف، ه، و، ي، ش) فيتعلَّمها الطالب من خلال كلمة متداولة يحتاجها في حياته اليوميَّة، ويشاهد صُورة هذه الكلمة، ويكرِّر نطقها وكتابتها بأشكالها في بداية الكلمة ووسطها ونهايتها. وقد أثبتت التجربة أهميَّة تقديم الحركات وشرح دورها في تغيير صوت الحرف ذاته مباشرة مع بداية تقديم الحروف^(١٧). «ونحن إذ نتحدَّث عن الحركات لا نعني بذلك الحركات التي تصدر عن نظام الإعراب؛ وهي ضبط أواخر الكلم وفقاً لمواقعها في النظم وحسب، وإنما نعني بذلك أيضاً الحركات التي توضِّح البنية الصرفيَّة للكلمة وتمييزها من غيرها في السياقات اللغويَّة»^(١٨).

وهكذا سرعان ما يتمكَّن الطالب من ربط ثلاثة حروف فأربعة في كلمة مما سيستخدمها في أحاديثه اليوميَّة. فيستشعر الطالب خلال الدرس الأوَّل، مع التعرّف إلى سبعة حروف، إنجازاً في تعلُّم مهارة الكتابة وممارسة مهارة القراءة. كما يتعلَّم من هذه الحروف تمييز أنواع الكلمة؛ اسم: (بلد، بنت، ولد، مجلَّة، بسمَة) وفعل: (كتب، فهم، جلس، ليس، ركب) وحروف المعاني: (من، في، و، ب، ل).

ومن ثم يتدرّج مع الحروف الأصعب نطقاً: (ر، ز، ح، خ، ق، ث، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، أ)

ويربطها قراءةً وكتابةً بكلمات مصوّرة أمامه. وهكذا يتلقّى الطالب مفردات مفيدة لمعجمه الأوّلي مثل: (كلمة، جملة، دفتر، كتاب، كرسي، نقود، فندق)، ويُميّز نوعي الكلمة: مذكّر ومؤنّث، بفهم دور حرف التاء المربوطة: (مكتب، مكتبة، أستاذ، أستاذة، ملك، ملكة).

إن هذه المرحلة التمهيدية أساس تمييز الطلاب للحروف المتشابهة بأصواتها والمختلفة بأشكال كتابتها، فتقع المسؤولية الكبيرة على عاتق المعلّم الذي يجب أن يبيّن في نطق الحروف وإعطائها حقّها صوتياً،^(١٩) ليسير معه الطالب وفق منهجية علم الأصوات بدلالاته ومنطقيته. كما يجب تقديم أشكال رسم الحرف المتعددة بأسلوب محفّز ليتعرّف الطالب إلى فنّ الخطّ العربي ومكانته وأهميته، فلا يتفاجأ عند رؤية رسم مختلف لما قدّمه له المعلّم أو المنهاج بين يديه: مثال: (الجامعة، الجامعة) (المكتب، المكتب) (حرف السين بالنسخ أو بالرقعة).

علم اللغة التقابلي وتعلّم تمييز الحروف:

متعلّم اللغة العربية يحتاج بداية أن يدرك الفرق في أصوات الحروف المتشابهة -التي يعتقد الكثيرون أنها تمثّل مشكلة خاصّة باللغة العربيّة-، لكنّها من الظواهر المتكرّرة بين اللغات، وسيستشعر ذلك بتقديم نماذج مفردات متقاربة الأصوات من أكثر من لغة. فيساعد ذلك المتعلم على تقبّل الصّوت مع رمزه الشكلي، ثم يصل للاقتناع بما قاله العالم اللغوي الكسائي في تفسيره لقواعد لغويّة: «هكذا خلقت». فمع وجود المنطق في شرح كثير من الظواهر اللغويّة، إلا أننا نقف أحياناً أمام بعضها لتقبّلها على حالها الذي تمّ التوافق عليه وتوارثه أبنائها. وكما جاء في دراسة «جدوى استعمال التقابل في تعليم اللغة العربيّة لغير أبنائها»: «نتكلّم اللغة الثانية في ظلّ عاداتنا النطقية السابقة، فنخطئ ونعتقد أننا على صواب، من هنا تدخل الدّراسات التقابلية إلى مسرح تعليم اللغة لنكشف على العادات المعوّقة للتعلّم بمقابلة الفونيم من اللغة المنبع بالفونيم من اللغة المصبّ للكشف عن نقل العادات أو تداخلها، وهما أمران معروفان في تراثنا

العربي معرفة تامّة» (٢٠).

والإشارة مفيدة في هذه الدراسة لما خصّصه العالم اللغوي ابن جني في القرن الرابع الهجري في كتابه «الخصائص» في هذه القضية اللغوية القديمة الحديثة: فصلاً في العربي يتنقل لسانه، وفصلاً في تداخل اللغات (٢١).

فمن المهم بدايةً إقناع الطلبة المبتدئين في تعلّم العربيّة بتمييز أصوات الحروف المؤتلفة من خلال كلمات وحروف سيستخدمونها؛ بعضها مادي مصوّر، وبعضها الآخر يشرحه المعلّم تمثيلاً وترجمةً. (٢٢) مثال:

أ: أَلْمَع: عَلِم

مَامِع

أَنْ عَن

س: سَوْف ص: صَوْف

سَاعَة صَعِب

خَمِيس قَمِيص

ح: حَرَم هـ: هَرَم

حَلَال هِلَال

لَوْح وَجْه

ق: قَلْب ك: كَلْب

فَقْر فِكْر

رَاقِب رَكَبَ

ت: تَيْن ط: طِين

بَيْت خَيْط

قَتَال قَطَار

د : دَرَبٌ ض : ضرب

بَرْدٌ بَيْضٌ

فَرْدٌ فَرَضٌ

خ : خَيْمَةٌ غ : غَيْمَةٌ

خَزَانَةٌ غَسَالَةٌ

رَخِيصٌ رَغِيْفٌ

ث : ثَلَاثَةٌ ذ : ذَهَبٌ ظ : ظَاْفِرٌ

لَيْثٌ تَلْمِيْذٌ مَحَافِظٌ

ء : مَاءٌ سَمَاءٌ وَرَاءُ الزَّرْقَاءِ

صَحْرَاءٌ شِتَاءُ الثَّلَاثَاءِ بَيْضَاءٌ

أ، و، ء : سَأَلَ سَأُولَ أَسْئَلَةٍ

أ، آ، إ، ا، ي : أَبٌ آلَةٌ إِنْ ابْنٌ إِلَى

ال : الْجَامِعَةُ الْمَجَلَّةُ الْكِتَابُ الْلُغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

الصَّفُّ الطَّالِبُ السَّيَّارَةُ الرَّحْلَةُ الطَّرِيقُ

يساعد هذا التمرين على إدراك المتعلم لصوت الحروف مركبة، وبالتدريب على استخدامها في جمل متمثلاً رسمها فيقتنع باختلافها، وتكرارها تخفف درجة الالتباس عند سماعها. فيصل طلاب المستوى المتقدم لمرحلة تمييز صوت الحرف من خلال معنى الكلمة وربطه بسياقها في الجملة والموضوع.

وللوصول إلى مرحلة إتقان متعلم العربية التمييز بين الحروف أجمع الطلاب في الاستييان على ضرورة الاستماع بتركيز إلى مخارج الأصوات لتمييزها، والأفضل لهم دائماً الاستناد إلى سياق الكلمة في الجملة لاستيعاب مدلولها. كما أشاروا إلى أهمية بيان المتحدث وفصاحته في الحديث، لاسيما من أبناء اللغة، فكلما حرص المتحدث على إصدار صوت الحرف واضحاً وإعطائه حقه اللفظي، تيسر لهم فهم المعنى ومُتَابَعَةُ

الكلام^(٢٣). واتفقوا على أن التدرّب اليومي على مهارة الاستماع من أنجح الوسائل للوصول إلى درجة الإتقان في فهم الكلمة ومعرفة حروفها عن ظهر قلب. والملاحظ في إجاباتهم استمرارية الإشكالية أحياناً بسبب تأثير اللغة الأم: مثل حرف «ر» و «ل» لدى طلاب الشرق الأقصى، حيث لا يوجد في اللغات اليابانية والكورية والصينية حرف «ر». وقد نجح ثلاثة عشر طالباً وطالبة أي نصف عينة الاستبيان في تمييز حرفي الألف والعين في المفردات التي سمعوها من المعلم بشكل واضح، وكذلك استطاع أكثر من نصفهم كتابة الهمزة في وسط الكلمة وفي نهايتها بشكل صحيح. وأخطأ ثلثهم فقط في حرف الضاد وكتبوه دالاً. وتميّزت كتابة الجُمْل ب ضبط أصوات الحروف، وهناك أخطاء في إهمال ألف واو الجماعة، وإضافة أل التعريف إلى المضاف، واستبدال واحد فقط للهاء بالخاء.

ومن ملاحظاتهم حول بعض مُشكلات تعلّم الحروف في تعلّمهم للعربيّة:

- «تغيّر طريقة كتابة الحرف حسب موقعه في الكلمة سواء في أول الكلمة أم منتصفها أم آخرها».

- «أصعب مرحلة كانت تركيب الحروف مثلاً: لم» بدلا من «لم»، أو «نحن» بدلاً من «نحن».

- «صعوبة في كتابة الهمزة وعلامات الترقيم، والتمييز بين الألف الممدودة والمقصورة».

- «أماكن الهمزات وكتابة الألف المقصورة أو الممدودة».

- «الكتابة صعبة لأنها تختلف عن كتابة لغتي فتبدأ من اليمين إلى الشمال، واختلاف نطق الحركات وكتابة حروف المد».

- «مشكلة كلمات قليلة استثنائية لأنها تُكتب مختلفة عن قراءتها، ونفس المشكلات من المحادثة: نحتاج إلى حرف بعد الفعل أو شكل صحيح نسبة إلى النحو». (أي حروف المعاني)

- «أجد صعوبات في الشكل واللفظ والمجاز، لأن هذه الصعوبات مختلفة جداً عن الكتابة اليابانية»^(٢٤).

- «صعوبتي أن أعبر عن فكرة بالمفردات التي تعلّمتها ولكن بأسلوب غير صحيح، وأشعر بحاجز كلما أكتب، وألجأ دائماً إلى القاموس لأستخرج منه الجمل، فأجد صعوبة في الكتابة السريعة».

- «لا أستطيع أن أكتب باستخدام مفردات كثيراً، توجد المفردات التي أعرف ولكنني لا أستطيع أن أستخدمها، أخطئ كثيراً في حرف الجر، وموضوع معرفة ونكرة»^(٢٥).

- «مشكلتي مع الإملاء بشكل كبير وخاصة الهمزة والتنوين».

وقد عبّر الطلاب في الاستبيان عن قدراتهم في تمييز الحروف العربيّة وخاصة المتشابهة منها مع الممارسة والتدريب الكافي، وقد أثبت تمرين الإملاء ذلك بالفعل. ومما سجّله:

- «أجد صعوبة فقط بين (س، ص)، (ت، ط)، (د، ض)، لكن عندما أعرف الكلمة لا أجد مشكلة، وفي رأيي الشيء الذي يساعد أكثر على التمييز هو الممارسة اليومية في الشوارع مع العرب».

- «أميّز بين الحروف بأن أضعها في سياق الكلام لأفهمها، والتشابه دائماً مشوش خاصة بين حروف (ر، ل)، (غ، خ) فيسبب سوء الفهم».

- «إذا درسنا الفرق بين الحروف المتشابهة بشكل جيد فسنفهم المعنى بشكل أسهل، وسيقال الجملة يساعدني على فهم معنى الكلمة والتمييز بين الحروف المتشابهة».

- «عموماً أسمع في كلمة ما حرف واحد أقوى فأبحث عن الجذر، ولكل كلمة في اللغة العربيّة معان كثيرة، ومستحيل بالنسبة لي أن أفهم الكلمة دون سياق الجملة».

فيبدأ متعلّم اللغة العربيّة من الناطقين بلغات أخرى رحلته الاستكشافية لعالم هذه اللغة الجديدة وثقافتها باستيعاب أصواتها وتقريبها لأصوات يألّفها من خلال مهارة الاستماع. فالسمع أبو الملكات كما أطلق عليه ابن خلدون في مقدّمته^(٢٦). ثم تلعب الطبيعة الإنسانيّة دورها في التعلّم من خلال التقليد، فالإنسان يُردّد ما يسمع، ويُحاكي ما يستمع إليه^(٢٧). وقد أثبتت دراسات لغويّة لسانیّة علميّة أن طبيعة الإنسان السليم تؤهّله لنطق الأصوات كافّة، فعليه تعلّم كيفية نطقها بعد سماعها بالتدرّب عليها وتكرارها حتى يعتادها^(٢٨) ويكون نطق الأصوات الأمثل في صورة اللفظ المركّب واستيعاب معناه ومدلوله حتى تستقر صورته في الذهن مع إصدار الصوت. وفي هذا

عودة لقول ابن خلدون: (٢٩) «حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال».

وهذه أمثلة تُبرز فائدة الدراسات التقابلية بين اللغات: ففي اللغة الإنجليزية مثلاً أصوات متشابهة بين عدد من الحروف: K / f و c / s و ph / ce.

هذا وقد أثبتت بعض الدراسات اللسانية وجود أصوات حروف عربية تُقابلها أصوات حروف متشابهة في الإنجليزية دون رموز شكلية مستقلة، مثل:

صوت حرف «ص» في كلمات باللغة الإنجليزية: subway

وصوت حرف «ض» في كلمات باللغة الإنجليزية (٣٠): double و dull و done وهناك اختلاف بين صوتي die و day

وصوت حرف «ظ» في كلمات باللغة الإنجليزية: mother و father و although ويتشابه صوت حرف «ذ» في اللغة الإنجليزية في كلمتي there و their وإن اختلفت أحرفهما.

وكذلك يتشابه صوت حرف «ث» في اللغة الإنجليزية في كلمات: three و thunder.

وقد تحدّث الجاحظ في القرن الثالث الهجري عن اللغات الخاصّة واللهجات موضّحاً كيف أن لكلّ لغة حروفاً تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين، واستعمال الجرمة للعين. كما قال الأصمعي: ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للبراباني ذال (٣١). وكان ابن سينا في القرن الخامس الهجري سبقاً بتخصيص فصل في رسالته التفسيرية في أسباب حدوث الحروف للحروف الشبيهة وليست في لغة العرب، حيث عرض لحروف أعجمية (فارسية ويونانية وتركية) تُشبه بعض الحروف العربية مثل: P، V، G. (٣٢) وهناك رأي بوجود بعض هذه الحروف في لهجات عربية قديمة (٣٣).

اتّلاف الحروف وتنافرها في دراسات لغوية عربية

وعن اتّلاف الحروف وتنافرها في نسج الكلمة العربية، نستفيد مما ورد في دراسة إسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربية (٣٤): «سبق الأقدمون من علماء العربية إلى دراسة أحكام نسج الكلمة العربية، وذكروا قدراً متفاوتاً من قوانين اقتران الحروف وتنافرها في الثنائيات، وأرجعوا علّة اتّلاف الحروف أو اقترانها أو مزجها إلى تباعد مخارج الحروف، وعلّة تنافر الحروف إلى قرب مخارجها، فالأولى تجعل التأليف حسناً، والثانية

تجعله قبيحاً أو ممتنعاً. ويُعدُّ الكنديُّ (ت ٢٥٦ هـ) أسبق أهل التعمية في ذلك، وأكثرهم استقصاء، فقد شرح في رسالته القواعد الأساسية في تحديد ما يقترن من الحروف وما لا يقترن، فقسّم الحروف إلى أصلية (١٦) حرفاً، ومتغيّرة زائدة (١٢ حرفاً). ثم شرح قوانين التنافر مقصورةً على الحروف الأصلية مع السين من المتغيرة، ويستعرضها حرفاً حرفاً على الترتيب الهجائي، فيذكر مع كل حرف ما لا يقارنه من الحروف فاجتمع له من حالات التنافر أو قوانينه (٩٤ حالة)، ولا نعلم أحداً سبقه إلى مثل ذلك».

ولقد أدرك علماء العربية خاصيّة «توزيع الأصوات على مدارج النطق في لغتهم بحيث تجيء الأصوات المؤلّفة للكلمة منسجمة متناسقة خالية من الثقل، ليس بينها تنافر يؤدي السّمع، أو عدم انسجام يُفقدّها حلاوة النّغم وحُسن التلقّي والقبول. فوضعوا ما يُشبه أن يكون قواعد صوتيّة لما ينبغي أن يكون عليه تأليف الكلمة من أصوات. مثال: قرّروا أن العربيّة تتجنّب جمع (الزاي مع الظاء، والسين، والصاد، والذال) وجمع (الجيم مع القاف، والطاء، والغين، والصاد) وجمع (الحاء مع الهاء) ووقوع الهاء قبل العين، والحاء قبل الهاء»^(٣٥). وقال الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) في البيان والتبيين:^(٣٦) «ومن صفات اللفظ الفصيح توافق الحروف ضمن الكلمة الواحدة. وهناك حروف لا تجتمع، فالجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا بتأخير. والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير. وتقتضي الفصاحة أيضاً عدم تنافر الكلمات ضمن الجملة الواحدة. وإذا تنافرت الألفاظ صعب النطق بها وبدت غير متلائمة وغير متوافقة. من ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

فقد رأى الكثيرون أن أحداً لا يستطيع إنشاد هذا البيت ثلاث مرات متتالية».

وألف ابن جنّي (ت ٣٩٢ هـ) كتابه سر صناعة الإعراب ليشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، وكيف مواقعه في كلام العرب. فخصّص فصلاً في مزج الحروف بعضها ببعض، وما يجوز من ذلك، وما يمتنع، وما يحسن، وما يقبح، وما يصحّ: «وأحسن التأليف ما بوعد فيه بين الحروف (المقاربة)، فمتى تجاوزا مخرجا الحرفين فالقياس ألا يأتلفا»^(٣٧).

وفي تعليم العربيّة للناطقين بغيرها تتدرج مشكلة تنافر الحروف بين حروف المباني (الحروف الهجائية التي تتكون منها الكلمات: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، ...) في أحاديث الطلاب وكتابتهم في المستوى المبتدئ فالمتوسط فالمتقدم، لتكون بارزة في بداية تعلّمهم، ولا تلبث أن تخفّ مع تقدّمهم الدراسي للغة ومهاراتها. وتزيد مشكلة تنافر الحروف في استخدامات حروف المعاني (حروف الجر: الباء، اللام، الكاف، من، إلى، في، على، عن، ...) بشكل أوضح من تنافر حروف المباني، حيث يختلف معنى الكلام باختلاف الحرف الرابط في الجملة.

وكان العالم اللغوي أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني (ت ٣٨٨ هـ) كتب رسالة في منازل الحروف، ذهب فيها إلى حصر طائفة من حروف المعاني وبيان أغراضها مع ذكر شواهد ما ورد في كلام العرب وأشعارهم. وبدأها الرماني باللامات وذكر منها اثنتا عشرة وهي: لام الابتداء، ولام القسم، ولام الإضافة، ثم انتقل إلى «الألفات»، فقال إنها إحدى عشرة، ثم «الباءات»، وما ورد في «ما» ووجوهها، و«من» وأحوالها، و«أن» المخفّفة، و«إن» المخفّفة المكسورة الهمزة، والفرق بين «إن» و«أن».

فاستيعاب متعلّم العربيّة لغة ثانية لأهميّة حروف الجر مع الأفعال تمثّل مرحلة أساسية في الوصول إلى الكفاية اللغوية، وإن كان المعنى المقصود واضحاً في حديثه وكتابه. وكذلك استيعابه لأهميّة «أل التعريف» مع الصفات المعرّفة، ومع الإضافة. والفرق بين «الباء» و«في». والفرق بين «اللام السببية» و«بسبب».

وهذه بعض نماذج إجابات الطلبة في الاستبيان كما وردت:

- «الأستاذ خرج الصف لطباعة الورقة».
- «سافرت إلى هنا لدراسة لغة العربية».
- «علّمتُ بأمي».
- «لم أدرس الكتابة أو التحدّث أو نطق في الجامعتنا، والآن أنا أدرس هذه مهارات».
- «سافرت للأردن للمنحة الدراسية». «أنا مبعوث بالحكومة».
- «علّمتني أستاذتي كل شيء الذي أعرفه عن الأدب».
- «أريد أن أسافر على العالم كله».

وصول مُتعلِّم العربيَّة لدرجة البيان في المحادثة والكتابة:

يقول الفارابي في كتابه «الحروف»: «يُرى أن يُحدث صناعة علم اللسان قليلاً قليلاً بأن يتشوّق إنسان إلى أن يحفظ ألفاظهم المفردة بعد أن يحفظ الأشعار والخطب والأقويل المركّبة، فيتحرّى أن يفردها بعد التركيب، أو أراد التقاطها بالسَّماع من جماعتهم ومن المشهورين باستعمال الأَفصح من ألفاظهم ... فنقول إنّه ينبغي أن يؤخذ عن الذين تمكّنت عاداتهم لهم على طول الزّمان في ألسنتهم وأنفسهم تمكناً يحصّنون به عن تخيل حروف سوى حروفهم والنطق بها، وعن تحصيل ألفاظ سوى المركّبة عن حروفهم، وعن النطق بها»^(٣٨).

ومن هنا فإن الطريقة الأفضل لتعلّم العربيَّة من الناطقين بغيرها أن يتعرّف إلى الحرف من خلال الكلمة، ثم يستوعب معنى الكلمة في سياقها في جملة قصيرة، ليُميِّز تدريجياً المعنى والمدلول رابطاً في ذهنه الصّوت بالرّمز والشكل من خلال مهارتي الاستماع والقراءة خاصّةً.

فعند تعلّم كلمة جديدة، يجب على الطالب استيضاح معناها ومدلولها ومن ثم استخدامها في سياقات متعدّدة في جمل قصيرة من خلال مهارتي المحادثة والكتابة خاصّةً. والحفظ في تعلّم اللغات واكتسابها سيّد الأساليب، ويتأتى ذلك بممارسة القراءة باللغة الهدف وتنوّع المادة من نصوص أدبيّة كُتبت لأبناء اللغة، والواجب الكتابي اليومي، والتعبير عن الذات بها للتواصل والتفاعل. وفي البيان والتبيين ذكر الجاحظ ما سمعه عن أبي مسلم يقول^(٣٩): «سمعت الإمام إبراهيم بن محمد يقول: يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع».

وهذه أمثلة لمنهجية أتبعها في تقديم المدلول المعنوي للكلمة بحروفها المؤتلفة من خلال السّياق:

سارت الأمور بسرعة / صارت الأمور مُعقّدة

حرف في وسط الكلمة / حَرّف الكلم عن مواضعه

سلك طريقاً / هاتف لا سلكي / رفع السلك

شَقَّ طريقه / شَقَّة جديدة في الطريق

صاحب الفكرة / صحبه إلى المطعم / سحب أوراقه /
قلده وسام الاستحقاق / راقب الممثل ذلك الشخص ثم قلده.
قل كلمتك / كل خبزتك / كل طعامك
قبل القرار / قبل فوات الأوان / قبل في الوظيفة / قبل أمه / قابل أصدقاءه /

أهمية الحركات في إبراز الحروف

سئل أحدهم: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ؟ قال: مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ^(٤٠).

تمتاز اللغة العربية بكونها اللغة الصامدة وسط لغات العالم في عصرنا الراهن بفضل حروفها، فبمعرفة الحروف العربية صوتاً وشكلاً يمكن قراءة ما كُتِبَ ودُونَ منذ ألف وخمسمائة عام. والحركات التي كتبها الخليل بن أحمد الفراهيدي في القرن الثاني الهجري؛ الفتحة والضمة والكسرة، ورَمَزَ السكون، لا زلنا نستعملها ونحتاجها. وفي الحركات قال ابن جني: «اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو. فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث. وإنما سُمِّيت هذه الأصوات الناقصة حركات، لأنها تعلق الحرف الذي تقرن به وتجذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها. فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة تجذبه نحو الياء، والضمة تجذبه نحو الواو»^(٤١). أما عن ظاهرة رمز «السكون» فيجب إيصال قيمتها الوظيفية لتعلمي العربية، فهي تُمَيِّز الحرف الخالي من الحركات الثلاث، وهذا التمييز له أهمية صوتية ونحوية، وللسكون وظيفة موسيقية^(٤٢).

فبقدر أهمية الحركات الدلالية لتوضيح المعنى بدقة، بقدر ما تُضيف من خصوصية فنية جمالية لشكل الحروف العربية. ومتعلم العربية بشكل عام يحتاج لمشاهدة الحركات فوق الحروف ليحسن القراءة، بقدر ما يحتاج لسماع أصواتها ليحسن الاستيعاب، ولاسيما طلاب العربية من الناطقين باللغات الأخرى. فالبدء بتعلم الحروف بصحبة الحركات والأشكال أثبت سرعة الأخذ بها وإتقانها. «وإذا كان كثير من أبناء العربية يتعثرون في نطق الكلمات وفقاً للشكل الصحيح لبنيتهما اللغوية فإنه من غير المستهجن

أن يقع متعلّمو العربيّة لغةً ثانية في كثير من هذه الأخطاء التي قد تنتقل بأداءاتهم اللغويّة من الصّحة اللغويّة إلى الخطأ أو الخطأ الفاحش أحياناً. وهي أخطاء يمكن ملاحظتها في محورين اثنين: إنتاج الكتابة، والمحور الثاني: استهلاك الكتابة» (٤٣).

وقد كانت هناك تجربة في منهاج الجامعة الأردنية قبل عقد ونصف لتقديم الحروف دون الأشكال والحركات، فكان هناك تساؤل مستمر حول فروقات أصوات الحروف نفسها في كلمات مختلفة؛ مثال: دَرَسَ، دَرَسَ، دَرَسَ، دَرَسَ... فيسمعونها ويُحاولون تمييزها ولا يفهمون المنطق دون شرح وجود هذه الحركات والأشكال التي تغيّر مدلول الكلمة وإن تماثلت حروفها. وقام مؤلفو المنهاج بتطويره في الطبعة الثانية لتُقدّم الحركات والأشكال مع الحروف مباشرة، فتماشى الطلاب مع هذه الطريقة المباشرة بشكل أفضل.

وقد عبّر غالبية طلاب المستوى المتقدّم في الاستبيان عن اضطرابهم للتفكير في جذر الكلمة ومن ثم مكانها في السياق وللكلمتين قبلها وبعدها ليفهموا المعنى بوضوح دون وجود الحركات، كما هو الحال في لغة كتب المناهج الدراسية، والصحف والروايات والقصص.

ويتساءل عددٌ من متعلّمي العربيّة لغةً ثانية عن سبب تخلّي غالبية أبناء اللغة العربيّة عن الحركات والأشكال في كتاباتهم الرسمية، وهي مما يميّز العربيّة كلغة اشتقاق، ومما يُضفي جمالاً في رسم الخطوط وتشكيلها؛ فالنص يُزيّن بالحركات والأشكال.

فتمثّل ضرورة الالتزام بوضع الحركات والأشكال لأنها تُجنّب المتعلّم تحريف الكلم عن مواضعه. ونستشهد بما أنشده العالم اللغوي ابن السكيت (٤٤) صاحب كتاب الحروف التي يتكلم بها في غير موضعها:

يُصابُ الفتى من عشرةِ بِلِسَانِهِ وليس يُصاب المرءُ من عشرةِ الرّجلِ
فعرثته في القولِ تُذهبُ رأسَهُ وعرثُهُ في الرّجلِ تبرا على مَهْلٍ

خاتمة

كما هي الحروف في الكلم، وجه البيان والمعاني للتواصل باللغة، تتألف وتتنافر، كذلك الأرواح في الأجساد جُنودٌ مجنّدة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف^(٤٥). فالحروف وجه التفاعل الإنساني بأصواتها في مهارتي المحادثة والاستماع، وبرموزها في مهارتي الكتابة والقراءة. وبالحرف وحده لا تظهر الدلالة المعنوية، وإن كان الفراهيدي أطلق أسماء للحروف مستقلة، إلا أن الحرف وحده يُضفي معنى جوهرياً للكلمة بآئلافه مع حرف آخر أو أكثر، ومع الحركة الملازمة له أو ساكناً.

وللحروف العربية قُدسية صبغتها ارتباطها بالنصّ السماوي والكتاب المحفوظ^(٤٦)، وهو ما يدعو أبناءها لتقدير خصوصيتها ورفع شأنها بمزيد من الاهتمام بنطقها نطقاً سليماً، وبإعطاء كل حرف حقه في الكلمة، وبالناية بكتابتها بأشكالها في رسم واضح وجميل، وبالإبداع في قراءتها قراءة تبرز أنغام أصواتها مع الحركات والسكون، وبالاستمتاع في الاستماع لألحانها على ألسنة مُتحدّثيها من أبناء العالمين.

فالحروف سرٌّ من أسرار الخلود الإنساني، وبها نُعرف، وبها نتواصل، وبها نحفر إنجازاتنا لتُحدّث عنا من يأتي بعدنا فيقرأ آثارنا.

والدعوة ملحة اليوم إلى الاهتمام بتطوير منهجية مناهج تعليم العربية لكل من أبنائها وللناطقين غيرها، وواجب على المتخصّصين في العربية لُغويّاً واجتماعياً وتربوياً وعلمياً تيسير اكتساب الجوانب الصوتية في تقديم اللغة بمفرداتها وتراكيبها، والاستفادة من هذا التقدّم التكنولوجي بتوظيف الوسائل الحديثة داخل القاعة الصفية وخارجها، فالمنهج والمعلّم والطالب تمثّل الركائز الثلاث الأساسية للعملية التعليمية^(٤٧). فباتقان متعلّمِي العربية للحروف بدايةً وربطها في مفردات فُجمل فقرات يصلون للكفاية المتبغاة في مهارات الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة.

- اكتبوا الجُمْل الآتية:
- الطلاب قرأوا نصوص كتاب المستوى السادس
- وناقشوا مقالات من صحيفة الرأي الأردنية
- وكتبوا عن مناهج العربية التي درسوها في السابق
- وتحدثوا عن أعلام يتذكرونهم في الحضارة العربية الإسلامية
- وحكوا في موضوعات ثقافية وأدبية وعلمية
- واستمعوا إلى تسجيلات للشخصيات التي تعرّفوا إليها في الدروس
- كل يوم يُحضّرون واجباتهم ليتحاوروا مع زملائهم، ويتعلّمون مادّة جديدة.

الهوامش:

(١) الحروف للخليل بن أحمد الفراهيدي (وفاته ١٧٥ هـ)، الحروف لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (وفاته ١٨٩ هـ)،

الحروف يُقال إنّه للنضر بن شميل (وفاته ٢٠٣ هـ)، الحروف في اللغة لأبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني (وفاته ٢٠٥ هـ)، الحروف لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (وفاته ٢٤٤ هـ)، الحروف لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (وفاته ٢٨٥ هـ)، الحروف للفارابي (وفاته ٣٣٩ هـ) وكتابه الألفاظ، معاني الحروف لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (وفاته ٣٣٩ هـ)، الحروف في اللغة لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (وفاته ٣٧٠ هـ)، الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (وفاته ٣٨٤ هـ)

معاني الحروف وأقسامها لأبي القاسم حسين بن الوليد بن العريف (وفاته ٣٩٠ هـ) الحروف في النحو لأبي عبد الله محمد بن جعفر الفزاز (وفاته ٤١٢ هـ) الحروف لأبي الحسن المزني (وفاته ٤٣١ هـ) معاني الحروف لعبد الجليل بن فيروز بن الحسن الغزنوي النحوي. شرح معاني الحروف لعلي بن فضال بن علي المجاشعي (وفاته ٤٧٩ هـ) الحروف لأحمد بن محمد الرازي (وفاته حوالي ٦٣١ هـ)، معرفة الفرق بين الضاد والطاء لابن الصابوني الصديفي الإشبيلي (وفاته ٦٣٤ هـ).

(٢) درّست الباحثة اللغة العربية وثقافتها وآدابها خلال عقدين من الزمان لأبناء اللغات الأخرى في المستويات المبتدئة والمتوسطة والمتقدمة، ولأبناء العربية في مواد متطلبات جامعية، ودراسات عليا.

(٣) أول ما يلتقيه المتعلم من اللغة صوتاً وشكلاً ورمزاً للتعبير بها عن مدلوله الذهني. «الحرف منتهى الجسم. انظر وجوه الكلمة في بصائر ذوي التمييز ٢ / ٤٥٢، ومختصر الوجوه في اللغة للخوارزمي ٢٩ - ٣٠، والمنجد ١٧٨». رمضان عبد التواب، ص ١٤٦.

(٤) في الصحاح للجوهري: حَرْفٌ كل شيء طَرَفُهُ وشَفِيرُهُ وحَدُّهُ، ومنه حَرْفُ الجبل وهو أَعْلَاهُ المُحَدَّدُ.

(٥) في لسان العرب: الحَرْفُ في الأصل: الطَّرْفُ والجَانِبُ، وبه سمي الحَرْفُ من حروف الهجاء.

(٦) في لسان العرب: قال الأزهرى: كل كلمة بُيئت أداة عارية في الكلام لِتُفَرِّقَ المعاني واسمها حَرْفٌ، وإن كان بناؤها بحرف أو فوق ذلك مثل حتى وهل وبُلٌ ولعلٌ.

(٧) هو من قولهم: حرف حرفاً: أي كسب.

(٨) ورد في معجم «العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني» الحرفة - بالكسر -: الطعنة وهي الصناعة التي منها يرتزق. وكل ما اشتغل به الإنسان وضرى به من أي أمر كان فإن العرب يسمونه صنعة وحرفة، يقولون: صنعة فلان أن يفعل كذا، وحرفة فلان أن يفعل كذا، يريدون: دأبه وديدنه».

(٩) وردت كلمة «حرف» في الكتاب الحكيم ست مرات، أربع مرات منها بمعنى تغيير المعنى عن المدلول المراد باللفظ، ومرة بمعنى جهة ما. ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعُوا غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعَيْنَا لِيَا بَالِسِتِّهِمْ﴾ (سورة النساء، الآية ٤٦). و ﴿فَبِمَا نَقْضُهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (سورة المائدة الآية ١٣) و ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (سورة المائدة الآية ٤١). ومرة بمعنى التحايل: ﴿وَمَنْ يُؤْمِدْ ذُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئس المصير﴾ (سورة الأنفال الآية ١٦). ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (سورة الحج الآية ١١). أي إذا لم ير ما يجب انقلب على وجهه، قيل: هو أن يعبد على السراء دون الضراء. وقال الزجاج: على حَرْفٍ أي على شك.

(١٠) أبو نصر الفارابي (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٥٠ م) الفيلسوف المعلم الثاني، يبحث في كتاب «الحروف» في أصل اللغة ونشئها وعلاقتها بالفلسفة والملة، ويُفسر فيه الكتاب الموسوم بالحروف لأرسطو طاليس «فيما بعد الطبيعة». ص ٣٦، وص ١٧٣.

(١١) واليوم تمثل هذه التجربة حيث توافَق شبابُ الأمة العربيَّة في عصر العولمة الذي نعيشه على وضع رُموزٍ لأصواتِ حروفٍ في مكانٍ بعض حُرُوفِ الأبجدية العربيَّة المتوارثة. وقد لجأوا في هذا التطوير للتفاعل بين اللغات والمزج بين أشكالٍ من أكثر من لغة، من أجل تيسير مهارة الكتابة - خاصة - مع انتشار وسائل التكنولوجيا الحديثة.

وكان الهدف من وراء ذلك -غالباً- تمييز أصوات الحروف المتشابهة في اللغة العربية مع ما يُقارَبها باللغة الإنجليزية -لغة العولمة في هذا العصر- لعدم وجود حروف تُبرز تلك الأصوات. فكانت الاستعانة بالأرقام (التي هي أرقام عربية أصلاً؛ من الإرث التاريخي) مثال: حرف «ء» = ٢، و «ع» = ٣، وحرف «خ» = ٥، وحرف «ط» = ٦، وحرف «ح» = ٧، وحرف «ق» = ٨، وحرف «ص» = ٩. وكذلك توافق بعض العرب على تمييز صوت حرف «P» بوضع ثلاث نقاط أسفل «ب»، وحرف «V» بوضع ثلاث نقاط فوق «ف».

(١٢) خصَّص مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة مؤتمره سنة ١٩٤٤ لموضوع تيسير الكتابة العربية، بعد سلسلة من الدورات منذ عام ١٩٣٨.

(١٣) الرازي، أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار، أبو العباس (وفاته عام ٦٣١ هـ) الفقيه الحنفي الصوفي المفسر.

(١٤) رمضان عبد التواب، ثلاثة كتب في الحروف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ١٤٧.

(١٥) أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب، وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، المدينة المنورة، جمادى الأولى ١٤٠١ هـ. ص ٨٣، ٨٨.

(١٦) شاركت الباحثة في تأليف أربعة كتب من منهاج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في مركز اللغات بالجامعة الأردنية منذ عام ٢٠٠٠ م.

(١٧) للمزيد انظر:

Basma A. S. Dajani & Fatima M. A. Omari. A Critical Study of Three Textbooks for Teaching Arabic to Non-Native Speakers. Procardia-Social and Behavioral Sciences. P 477.

(١٨) فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مقارنة في أسس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أشغال الندوة الدولية ديداكتيك التعدد اللغوي تعليم وتعلم اللغات، جامعة محمد الخامس بالرباط، ٢٧-٢٨ / ١١ / ٢٠١٢. منشورات التدريس ٢٠١٥.

(١٩) لمزيد انظر: بسمة أحمد صدقي الدجاني، معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها: القابلية والتمكّن، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العملي بالجامعة الأردنية، المجلد ٤٠، العدد ٢، ٢٠١٤.

(٢٠) تمام حسّان، جدوى استعمال التقابل في تعليم اللغة العربية لغير أبنائها. وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجزء الثاني، المدينة المنورة، ١٤٠١ هـ. ص ٧٨.

(٢١) للمزيد انظر ابن جني، الخصائص، وقام حسّان، ص ٩٣.

(٢٢) هذه منهجية أقدمها للطلاب لتساعدهم في تمييز الحروف العربية المؤتلفة صوتاً بجانب تقديم بعض الكلمات الإنجليزية التي تتألف صوتياً وتختلف في المعنى والمدلول لتوضيح دور الحرف في تغيير معنى الكلمات متشابهة الأصوات، مثال: for, four/ were, where / see, sea/ right, write/ too, two/ hi, high/ by, buy, bye/ /her, hair, heir, hare/ I, eye / there, their . وللمزيد انظر:

Basma A. S. Dajani & Fatima M. A.

Omari. A Comparison between the Arabic and the English Language. Procedia- Social and Behavioral Sciences. P. 705.

(٢٣) عند الاستماع إلى عدد كبير من أبناء اللغة العربيّة، يُلاحظ سرعتهم الزائدة في نطق المفردات فلا يأخذ الحرف صوته كاملاً، وتتداخل الحروف، فيفقد المستمع، وخاصةً من متعلّمي العربيّة لغة ثانية، القدرة على متابعة الحديث.

(٢٤) كتبت الطالبة اليابانية المجتهدة في المستوى المتقدم كلمة مختلفة (مخترفة) لأن حرف اللام غير موجود في اللغة اليابانية، وهي ظاهرة إشكالية عامة بين أبناء تلك اللغة.

(٢٥) للمزيد عن أخطاء المعرفة والنكرة انظر: حاجة رفيضة بنت حاج عبد الله وبسمة أحمد صدقي الدجاني، أخطاء الطلبة البروناويين في استعمال التعريف والتنكير في اللغة العربية: دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، قبول نشر في ٢٠١٦ / ٦ / ٩.

(٢٦) ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث الإسلامي، ص ٥٤٦

(٢٧) تجربة إنسان الغابة نموذج في التواصل بين مخلوقين مختلفين في القدرات بالاعتماد على محاكاة الأصوات الغالبة. وهذا ما صورّه ابن طفيل في قصته الإبداعية «حي بن يقظان» في القرن السادس الهجري.

(٢٨) سمير شريف استيتية: محاضرة حول دراسة تقابلية بين أصوات حروف اللغتين العربية والإنجليزية.

(٢٩) ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٦١.

(٣٠) يرى كمال بشر في كتابه «دراسات في علم اللغة» أن صوت الضاد الشبيه في اللغة الإنجليزية ليست له قيمة الضاد العربية، فصوت الضاد يأتي في رأيه في قمة السمات الصوتية التي تنفرد به اللغة العربية. ص ١٩٨.

(٣١) يوهان فك، «العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب» ترجمة» رمضان عبد التواب، ص ١١٩.

(٣٢) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان طيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣، ص ٨٦.

(٣٣) فهد خليل زايد، المستوى الصوتي الحروف ودلالاتها في اللغة العربية، دار الصفوة للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١١، ص ٤٨.

(٣٤) يحيى مير علم، ص ٢٣، ٢٤، ٢٦.

(٣٥) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ص ١٩٦.

(٣٦) الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ، ص ١٦.

(٣٧) أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الجزء الثاني، ص ٨١٢.

(٣٨) الفارابي، كتاب الحروف، ص ١٤٥.

(٣٩) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٦١.

(٤٠) حكمة متداولة.

(٤١) ابن جني، سر صناعة الإعراب، ص ١٩، ص ٣٠.

(٤٢) كمال بشر، دراسات في علم اللغة: السكون في اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٧٦، ١٧٨.

(٤٣) فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مقارنة في أسس تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أشغال الندوة الدولية: ديداكتيك التعدد اللغوي تعليم وتعلم اللغات، جامعة محمد الخامس بالرباط، كلية علوم التربية، ٢٧-٢٨ / ١١ / ٢٠١٢، منشورات التدريس، ٢٠١٥.

(٤٤) ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) إمام اللغة والنحو والأدب.

(٤٥) حديث نبوي شريف.

(٤٦) افتتحت تسع وعشرون سورة في الكتاب الحكيم بحروف مقطعة كآيات وكأجزاء آيات.

(٤٧) للمزيد انظر: حمزة المسند وبسمة أحمد صدقي الدجاني، منهاج تعليم العربية للناطقين بغيرها: تعليم الأصوات أنموذجاً، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور الخليفة بالجزائر، العدد ٢٤، سبتمبر ٢٠١٦.

المراجع والمصادر

- ▼ القرآن الكريم.
- ▼ معجم الصحاح للجوهري.
- ▼ معجم لسان العرب.
- ▼ معجم العباب الزاخر واللباب الفاخر للصغاني.
- ▼ ابن خلدون، المقدمة، دار إحياء التراث.
- ▼ ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، الشيخ الرئيس، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسن طيّان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٨٣.
- ▼ أبو الحسن علي بن عيسى الرُّمّاني، رسالتان في اللغة، حَقَّقَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا وَقَدَّمَ لَهَا إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٨٤.
- ▼ أبو الفتح عثمان بن جني، سرُّ صناعة الإعراب، دراسة وتحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥.
- ▼ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص.
- ▼ أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ مُحَسِّنٌ مَهْدِي، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٩.
- ▼ أحمد مختار عمر، الدراسات الصوتية وتعليم اللغة العربية للأجانب،
- ▼ بسمّة أحمد صدقي الدجاني، معلّم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها: القابلية والتّمكن، مجلة دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنيّة، المجلد ٤٠، العدد ٢، ٢٠١٣.

▼ تمام حسّان، جدوى استعمال التقابل في تعليم اللغة العربية لغير أبنائها. وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الجزء الثاني، المدينة المنورة، ١٤٠١ هـ. ص ٧٣-٩٣.

▼ الجاحظ، البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.

▼ حاجة رفيضة بنت حاج عبد الله وبسمة أحمد صدقي الدجاني، أخطاء الطلبة البروناويين في استعمال التعريف والتّكثير في اللغة العربيّة: دراسة وصفية تحليليّة. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة. مقبول للنشر في ٢٠١٦.

▼ حسن عبّاس، خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، منشورات اتحاد الكُتّاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.

▼ حمزة المسند وبسمة أحمد صدقي الدجاني، منهاج تعليم العربيّة للناطقين بغيرها: تعليم الأصوات أنموذجاً، مجلة دراسات وأبحاث جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، العدد ٢٤، سبتمبر ٢٠١٦.

▼ الخليل بن أحمد وابن السكيت والرازي، ثلاثة كُتّب في الحروف، حقّقه وقدم له وعلّق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٨٢.

▼ رمضان عبد التواب، ثلاثة كتب في الحروف، مكتبة الخانجي، القاهرة.

▼ ف عبد الرحيم، أخطاء دارسي اللغة العربيّة في النطق، وقائع تعليم اللغة العربيّة لغير الناطقين بها، الجزء الأوّل: المادّة اللغويّة، المدينة المنورة، ١٤٠١ هـ، ص ٩١-٩٩.

▼ فاطمة محمد أمين العمري وبسمة أحمد صدقي الدجاني، مُقاربة في أسس تعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها، أعمال الندوة الدوليّة ديداكتيك التّعدّد اللغوي، تعليم وتعلّم اللغات، جامعة محمد الخامس بالرباط، ٢٧-٢٨ / ١١ / ٢٠١٢. ص ٨٧-٩٨.

▼ فهد خليل زايد، المستوى الصوتي الحروف ودلالاتها في اللغة العربية إعرابها،
ودلالاتها، مخارجها، دار الصفوة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١.

▼ كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،
١٩٩٨.

▼ Basma A. S. Dajani & Fatima M. A. Omari. A Critical Study of
Three Textbooks for Teaching Arabic to Non-Native Speakers. Procedia-
Social and Behavioral Sciences.

